

مظاهر التغير القيمي في المدينة الحديثة

الباحثة: شهناز قب، جامعة خنشلة، الجزائر

الدكتورة: سهى حمزاوي، جامعة خنشلة، الجزائر

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة موضوع القيم وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع باعتباره نسق اجتماعي أو تنظيم عضوي يحكم حياتنا الاجتماعية يتعرض إلى عملية التغير في ظل عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة يتأثر بها ويؤثر في مدى استمراريتها، وخاصة على مستوى المدينة الحديثة أين يزداد الأمر تعقيدا لما فيها من انساق اجتماعية مختلفة تتكامل فيما بينها مشكلة بذلك الوحدة في المبادئ والأفكار والمعتقدات، لهذا فقد تم الكشف عن آفاق التغير القيمي في المدينة الحديثة وأهم المظاهر التي تنتج عنها إضافة إلى ماتؤول إليه في المستقبل حيث خلص البحث إلى فكرة أساسية مفادها إن التغير القيمي هو ظاهرة حتمية تتعرض لها كل المجتمعات وخاصة الحضرية منها بسبب مواكبة التحضر بجميع مظاهر التقدم والعصرنة، وما تفرضه العولمة من قيم جديدة، يصبح لزاما على افراد المجتمع إتباع أنماط معينة من السلوك وإقامة علاقات اجتماعية أكثر تعقيدا، واختلافا عما اعتادوا عليه في الماضي.

Abstract:

This research aims to know the values and importance of the values to the individual and society as a social or social range or a social organization that governs our social life and it is subjected to the process of change under different economic, social, cultural and political factors. This social range is influenced by these factors and it affects the extent of its continuity, especially at the level of the modern city where it is becoming more complex because of the different social patterns integrated among them to construct the unity of principles and ideas and beliefs therefore, the prospects of value change in the modern city have been revealed as well as the most important aspects that result in it in the future. The research concluded to a main idea that is the value change is an inevitable phenomenon for all societies, especially urban ones, due to the urbanization of all aspects of progress and modernization, and to the imposition of new values imposed by globalization, it becomes imperative for individual to follow certain patterns of behavior and to establish more complex social relations, and different from what they used to in the past.

تحظى الدراسات المتعلقة بموضوع القيم حيزا واسعا من اهتمام الباحثين في شتى مجالات الحياة، لما لها من ارتباط وثيق بسلوك الأفراد و علاقاتهم الاجتماعية فيما بينهم، والتي تتميز بطابع خاص يؤهلها أن تكون محط جدل و دراسة خاصة إذا كانت هذه العلاقات في الوسط الحضري، على اعتبار أن المدينة تمثل ظاهرة اجتماعية تتميز بمنظومة قيمية معينة تختلف على المجتمعات الريفية، و إن كان كلاهما امتداد للآخر، لأن الحياة في المدينة هي عبارة عن آراء و معتقدات للأسلاف في المراحل الأولى و قبل الوصول إلى المدينة الحديثة، بمعنى أن لها امتداد سابق و لكنها تأثرت بالحياة الحضرية، نتيجة سرعة الاتصال و العولمة.

فقد فرضت هذه الأخيرة عدة تغيرات على القيم الإنسانية نتيجة انتشار مظاهر جديدة لم تكن المجتمعات القديمة تعمل بها، سواء كان ذلك على مستوى المعارف و التقنيات، أو على الجانب السلوكي و العقائدي ولكن رغم هذا فان البعض في المدينة لا يزال متمسكا بذلك التمييز بين الجنسين و التفرقة بينهما خاصة على الصعيد العملي و المسؤولية و درجة الحرية و ما ينتج عنه من قيم خاصة بالإناث و أخرى خاصة بالذكر رغم الانتماء إلى المدينة وهذا طبعا يرجع إلى درجة الحداثة و التحضر لكل مدينة.

و هذا الاختلاف في حياة المدينة هو ما جعلها أكثر عرضة للتغير و التحديث و عليه يمكن طرح السؤال التالي: ما هي طبيعة القيم السائدة في المدينة الحديثة؟ و ما أهم ملامح التغير القيمي فيها؟

أولا: المفاهيم الأساسية :

1. القيم: يعتبر تحديد المفاهيم من أساسيات البحوث العلمية، لأنها القاعدة و الركيزة المهمة لها، فبواسطتها يسهل بناء فكرة حول مجال الدراسة، و لأنها أيضا تختلف في العلوم الاجتماعية باختلاف الأفكار و الأيديولوجيات التي يتبناها أفراد مجتمع معين، و بالتالي فان القيم هي :

هي كل ما يعتبر جدير باهتمام الفرد وعنايته ،لاعتبرات اجتماعية واقتصادية وسيكولوجية، و القيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها و تحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه، وتؤثر في تعليمه، فالصدق، والأمانة والشجاعة الأدبية، والولاء و تحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه وتختلف باختلاف المجتمعات بل و الجماعات الصغيرة⁽¹⁾.

يرى كلوكوهن KLNCKHOHN وهو من المتأثرين بالمدخل البارسوبي السلوكي أن لفظة « القيمة » تقتصر على المرغوب فيه، أي ما يشعر به أو يعتبر قابلا للتبرير فالقيمة عنده « مفهوم واضح أو مستتر، متميز لشخص أو سمة، لجماعة، أو لشيء مرغوب فيه، حيث يؤثر في الاختيار من بين ما هو متاح من الوسائل وغايات العقل⁽²⁾. كما أن القيم أيضا هي مبادئ مجردة توجه سلوكنا و تحدد ما يجب⁽³⁾.

2- المدينة الحديثة: بما أن المدينة الحديثة هو مصطلح مركب، فانه سيتم تعريف المدينة اصطلاحيا ثم بعد ذلك إعطاء تعريف إجرائي للمدينة الحديثة.

فالمدينة في السابق كانت تعرف بالحَضْرَ حسب ما ورد في مقدمة ابن خلدون و الذي تحدث كثيرا عن أهل الحضر و معناه الحاضرون، أهل الأمصار و البلدان، و من هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع و منهم من ينتحل التجارة، و تكون مكاسبهم أئمن وارفه من أهل البدو، لان أحوالهم زائدة على الضروري و معاشهم على نسبة وجدهم.

المدينة هي مستوطنة حضرية ذات كثافة سكانية كبيرة و لها أهمية معينة تميزها عن المستوطنات الأخرى و يختلف تعريف المدينة من مكان إلى آخر و من جهة إلى أخرى⁽⁴⁾.

و بهذا فان المدينة الحديثة هي عبارة عن رقعة جغرافية واسعة، يعيش بها مجموعة من الأفراد، يمارسون سلوكيات معينة وفق ضبط اجتماعي خاص بها، تتوفر بها مختلف المرافق الضرورية و الغير ضرورية تدور حول مركز معين، وتتأثر بما هو حديث سواء في مجال المعارف والمعلومات أو من الناحية العمرانية.

3-التغير: هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي سواء في الوظائف و القيم و الأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة و قد يكون هذا التغير ايجابيا أي تقدما، و قد يكون سلبيًا أي تخلفًا⁽⁵⁾.

و عليه فان التغير القيمي يعد من أكثر الظواهر الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية شيوعا و خطورة في الدول النامية، و هو من المفاهيم الاجتماعية التي يكتنفها الكثير من الغموض و التعقيد⁽⁶⁾.

حيث تتغير القيم نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد و البيئة التي يعيش فيها، و هي مرتبطة بمحاجات الفرد الأساسية أيضا و تختلف طريقة التعبير عن هذه المحاجات باختلاف ظروف البيئة، فإذا تخلفت البيئة أو تطورت أصبحت القيمة بذلك تؤدي وظيفة اجتماعية، و تؤدي على ظهور قيم جديدة في المجتمع⁽⁷⁾.

ثانيا : أهمية القيم و دورها في توجيه سلوك الفرد و المجتمع :

للقيم أهمية كبيرة في حياة الأفراد، و الجماعات و المجتمعات إلى درجة أصبحت فيها القيم تطرح قضية التربية، ذلك أن التربية في حد ذاتها عملية قيمية، فالقيم هي التي تحدد الفلسفات و الأهداف و العمليات التعليمية، و تحكم مؤسسات التربية و مناهجها، فهي موجودة في كل خطوة، و كل مرحلة و كل عملية تربوية، و بدونها تتحول التربية إلى فوضى عارمة.

يرى كثير من الباحثين أن مظاهر الاضطراب في المجتمعات المعاصرة يمكن أن تؤدي إلى غياب الالتزام بنسق قيمي مترابط يحدد سلوك الأفراد و توجهاتهم. و من أهم دواعي الاهتمام بالقيم ما يتعرض له المجتمع العربي من غزو و تذبذب و تغير قيمي و ثقافي مقصود أدى الى فقدان القدرة على المقاومة أو المسيرة الهادفة، حيث اهتز كيان أفراد المجتمع و اضطرب سلوكهم، و اختلت معاييرهم و قيمهم التي توجه سلوكهم و أفكارهم و أقوالهم في الاتجاه الصحيح⁽⁸⁾.

و هذا ما يفرض عليهم ضرورة العودة إلى الاهتمام بالقيم و بناء نسق قيمي يجسد هويتهم القومية، و يمكن أن نعرض أهم النقاط التي تبين أهمية القيم بالنسبة للفرد باعتبار أنها :

- تساعده في بناء حياته و تشكيل شخصيته و تحديد غاياته و أهدافه و وسائل تحقيق هذه الغايات و الأهداف.
- معيار تفضيلي يمثل إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الإنسان في حياته العامة و الخاصة، و بالتالي فهي تعمل على ضبط سلوكه و توجيهه، فالأمانة قيمة إذا تبناها الفرد و جهت سلوكه ضد الغش، و الصبر قيمة توجه السلوك نحو تحمل الشدائد و مقاومة الضعف البشري.
- تمثل القيم أحكاما معيارية فهي معايير يعتمد عليها الفرد في تقييم سلوكياته و سلوكيات الآخرين و كذلك ليحكم على أفكار الأشخاص و أعمالهم و مواقفهم من حيث كونها مرغوبة ايجابية أو غير مرغوبة سلبية.
- تعمل القيم على وقاية الفرد من الانحراف، فالقيم الدينية و الاجتماعية التي يتبناها الفرد تحميه من الانزلاق في الخطأ لأنها تعمل كعامل إنمائي لشخصية الفرد.

تعمل القيم كموجهات لخيارات الأفراد أكثر ميل أو تفضل إيديولوجية سياسية و اجتماعية أو اقتصادية أو حتى مهنية معينة⁽⁹⁾.

تلعب القيم دورا رئيسيا في حل الصراعات و اتخاذ القرارات عند الأفراد على اعتبار أن النظام القيمي مجموعة من المبادئ المتعلمة، تساعد الفرد في اتخاذ قراراته و إنهاء صراعاته بما يحقق بعض قيمه⁽¹⁰⁾.

كما أن للقيم أهمية كبيرة بالنسبة للجماعة و المجتمع و تتمثل بذلك في :

- حفظ تماسك المجتمع، و تحدد له أهدافه و مثله العليا و مبادئه الثابتة التي توفر له هذا التماسك ليتمكن من ممارسة حياة اجتماعية سليمة، و لهذا كان دائما الإسلام يحرص على أن يبني مجتمعا إسلاميا تسوده القيم الفاضلة، من

تضحية وإيثار و تكافل و حب و تعاون حيث قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى".

- إذ القيم تقوم بربط أجزاء الثقافة بعضها ببعض لكي تبدو متناسقة و تخدم هدفا محددًا، كما تعمل على توجيه الفكر نحو غايات محددة، لأن كل فكر مهما كانت درجة علمه و تقدمه، لا يمكنه الارتقاء بالأمة إذ لم يكن مترابطًا بمنظومة قيمة.

- تعمل القيم كموجهات لسلوك الأفراد و الجماعات، و تقي المجتمع من الانحرافات الاجتماعية فلا يستقيم مجتمع بدونها لأنه لو فقدتها فقدت أمته و تماسكه انتظام حياته على طريق العدل و الخير، كما يتحقق بها انضباط الفرد و الجماعة و تنظيم العلاقات في ضوء الأحكام القيمة.

ومن خلال الأهمية الكبيرة للقيم في حياة الفرد و المجتمع، لا بد من أن لها دور كبير في توجيه سلوكياتهم حيث تحتاج المجتمعات و الأنظمة الجديدة إلى أن يكون الأفراد قادرين على المحافظة على القوانين و القواعد الثابتة، و أن تكون أحكامهم مبنية على أساس موضوعي لأي أساس تقليدي أو عاطفي، لأن الأفراد الذين يعيشون في المجتمعات الحديثة تستدعي أن يكون هناك نوعا من التنقل الاجتماعي سواء على المستوى الجغرافي أو المهني كما تتطلب أيضا أن يكون أفرادها قادرين على قبول التغير و التغيير في أسلوب حياتهم و عملهم و أن يتسموا بالأخلاق في عملهم و أن يكونوا متميزين عن الآخرين.

فعملية تحديث الإنسان ليست بالأمر السهل حيث تعتبر عملية بطيئة و لا تحدث تأثيرًا إلا على القليل من الأفراد، فهناك العديد من الأفراد الذين يخشون من التجديد أو الذين تمنعهم مصالحهم أو مراكزهم من تقبل التغير، و في كثير من الأحيان تتدخل القيم و المصالح في جعل بعض الجماعات أقل تقبلاً للتغيير من غيرها كالجماعات الدينية أو العرفية، و بالتالي، فإن عملية التحديث عملية فردية و العلوم الاجتماعية جميعها تطالب بتفسير العملية التي من خلالها يتحول الناس

من تقليديين إلى شخصيات حديثة، فالإنسان لا يولد حديثاً وإنما هي ما يقوم به من سلوكيات هي عبارة عما تعلمه، من الحياة، حيث يعتبر الإنسان الحديث هو كل من يميل إلى المشاركة في المشروعات الإنتاجية الحديثة ذات المجال الواسع مثل التصنيع، وأن يكون واعياً بكل متطلبات العمل والمسؤولية، في المصنع حتى يتحقق الانجاز والكفاءة المطلوبة⁽¹¹⁾.

كما أن القيم تعمل كقوى اجتماعية في تشكيل الاختيار عند الأفراد و هي التي توجه الفصل الاجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة، بمعنى أن القيم هي العوامل الحقيقية في الحياة الاجتماعية، وهي التي تقوم بتشكيل المعايير التي تحكم على الأفعال إما بالصواب أو بالخطأ، حيث تعد بمثابة مبررات لترشيد السلوك أي أنها تحدد ما ينبغي أن يكون في المجتمع، وهي التي تميز أي تراث و أي ثقافة، وذلك من خلال ما تسهم به من تماسك و انتظام للمجتمع و كذا المحافظة على هويته و ثقافته⁽¹²⁾.

بالإضافة إلى هذا فإنه أثناء دراسة القيم باعتبارها أحد المفاهيم المنظمة لحياة الأفراد و سلوكهم ينبغي التطرق إلى معرفة خصائصها و التي هي كما يلي:

- القيم لب الثقافة: تمثل القيم لب الثقافة لأي مجتمع من المجتمعات، حيث تمثل الرموز الثقافية التي تحدد ما هو مرغوب فيه و ما هو مرغوب عنه، بالإضافة إلى أنها تقوم بتحديد السلوكيات و تدعم الاتجاهات و المعايير في مختلف مواقف الفصل الإنساني، و لهذا فإن الانحراف عن تلك القيم يعد انحرافاً عن ثقافة المجتمع، ما يعني أن القيم هي حلقة الوصل بين الأنساق الثلاثة الكبرى للفعل الإنساني و المتمثلة في نسق الشخصية، النسق الاجتماعي، النسق الثقافي.

القيم المتوارثة: يعتبر الإرث التاريخي للمجتمع أحد الروافد الأساسية من جيل لآخر بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية، ربما يساعد الأجيال المتلاحقة على الاستفادة منها في تنظيم واقعها الاجتماعي⁽¹³⁾.

كما تلعب التربية دورا هاما و فعال في عملية اندماج الأفراد لتلك القيم باعتبارها احد الأنظمة الاجتماعية، حيث أن وجود إطار مشترك من القيم و الأفكار و المعايير و المعتقدات بين الأفراد في مجتمع الواحد، من شأنه تحقيق ما يسمى بالنظام الاجتماعي و الذي يجمع كافة أفراد المجتمع تحت حمايته.

- القيم حصيلة للتجربة الجمعية للمجتمع: فبصورة تلقائية تقوم كل جماعة بترتيب قيمها حسب الأهمية التي تكمن وراءها كل قيمة، مما يساهم في سيادة قيمة معينة في مجتمع ما سيادة قيمة أخرى في مجتمع آخر، و هذا يعني أن هناك اختلافا واضحا بين الأنساق القيمية لكل مجتمع، ففي حين نجد أن بعض المجتمعات تهتم بقيم كالشجاعة و الكرم... و التي تنتشر في مجتمعاتنا العربية، حيث نجد إن تلك القيم ليست بالأهمية ذاتها بالنسبة لمجتمعات أخرى إذ تضع تلك المجتمعات قيما أخرى كالعمل، الإتقان... في اهتمامها الأول، كما أن هناك قيم أخرى تكاد تكون مشتركة في الأهمية بين كل المجتمعات كالتعاون، النظام، النظافة، احترام البيئة، احترام الكبار...

- القيم ظاهرة مجتمعية: حيث أكدت مختلف الدراسات المجتمعية في كافة المجتمعات على أن القيم هي نفسها مشابهة للظواهر الاجتماعية الأخرى فهي تخضع للتغيير الذي يمكن إرجاعه إلى: تغير التركيب الداخلي للبناء المجتمعي، ضغوط القوى الخارجية.

حيث يتأثر التركيب الداخلي للبناء المجتمعي لأي مجتمع بالثقافة الخاصة به، و وضعه الاجتماعي و الاقتصادي، بالإضافة إلى خطط التنمية لهذا المجتمع، و بما أن المجتمع هو في تغير مستمر و دائم و لان قيمه ككل الظواهر المجتمعية تلحقها أيضا يد التغيير و التطور، مما يتبعه تغير في الطور التقييمي للمجتمع و لسائر أفراده، و لان التغيير من احد الظواهر الصحية فلا بد أن يتبع التغيير المجتمعي تغييرا في النسق القيمي، من اجل التكيف مع المتغيرات بما في ذلك تحقيق وحدة و تماسك المجتمع.

و لقد أشار الإمام علي (كرم الله وجهه) إلى ذلك فرت أقواله التي سبق بها زمانه قائلاً: لا تعودوا بنيكم على أخلاقكم فإنهم مخلقون لزمان غير زمانكم حيث لمس في هذا القول الإمام مبدأ تربويًا هامًا لأن التغيير يلحق كل شر، وحتى القيم والأخلاق ينبغي لنا أن نربي أولادنا عليها، فهم خلقوا بالفعل ليعيشوا في مجتمع غير مجتمعنا وقيما وفكرا غيره⁽¹⁴⁾.

أما بالنسبة للضغوط القوي الخارجية فمع التغيير الملحوظ في التركيب الداخلي للبناء المجتمعي والذي يسبقه عملية حراك اجتماعي، ومع التغيرات الاجتماعية والثقافية الهائلة والمواكبة للانتشار الثقافي والانفتاح على العالم الخارجي لا بد من تواجد واقع اجتماعي جديد له قيم وأفكار واتجاهات واحدة من العديد من المجتمعات، حيث يمكن أن نطلق كل هذا الوافد بقوى الضغط الثقافي⁽¹⁵⁾.

- بالإضافة إلى أن القيم تعتبر مجردة غير محسوسة، فالعدل شيء لا يمكن لمسه، ولا يمكن مشاهدته، ولكن لكل قيمة مؤشرات لها ولهذا يمكن للإنسان العادي أن يصف موقفا معينا بأنه ينطوي على عدل أو آخر ينطوي على ظلم.
- تكتسب من البيئة التي تحيط بالفرد، وهذا ما بينه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فالحديث الشريف يبين أن الفطرة وهي قيمة عظيمة ركبها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، قد تفسد إذا كانت البيئة الأسرية غير صالحة، فينتقل الإنسان من الإسلام إلى الكفر ويبين حديث شريف آخر أن المرء يصبح مؤمنا يمسى كافرا، ويعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ندعو بهذا الدعاء: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذه أدلة كافية تظهر أن المرء يغير قيمه، وأنها لا تبقى على حالها، لكن ما ينبغي التنبيه إليه أن تغير القيم عند الأفراد لا يعني أن القيم في حد ذاتها متغيرة، فالقيم الإسلامية ربانية المصدر، فهي بهذا ثابتة دائما، وما يتغير هو مدى التزام الأفراد بها.

القيم موجّهات السلوك المجتمع الذي تسود فيه، وهي تعمل بصورة متكاملة، فقيمة التعاون في مجتمع إسلامي ترتبط بالصيادة، و بسائر القيم الإسلامية الأخرى، و لهذا أمر⁽¹⁶⁾.

• المسلم بالتعاون مع الآخرين على الصبر و التقوى، و نهى عن التعاون مع غيره على ارتكاب المعاصي، و مفهوم التعاون في المجتمع الذي يؤمن بالفلسفة البرجماتية يتصرف على نحو مغاير، فهو مستعد للتعاون مع أفراد من مجتمعه لتحقيق ما يفيد ذلك المجتمع، حتى لو كان ذلك على حساب المجتمعات الأخرى، فالقيم منظومة متكاملة، و لا تعمل كل منها بصورة منعزلة عن غيرها من القيم التي تسود في ذلك المجتمع و أن حدث ذلك كان خروجاً على القاعدة.

نظراً لان حاجات المجتمع من المجتمعات ليست على نفس الدرجة من الأهمية، فان القيم ذات طبيعة مندرجة فهناك قيم أساسية، و قيم فرعية تنضوي تحتها و حتى القيم الإنسانية، فإنها قد لا تكون على نفس الدرجة و الأهمية، و لهذا كان من الضروري معرفة التنظيم الهرمي للقيم التي تسود في مجتمع معين⁽¹⁷⁾.

القيم مفاهيم: تعتبر المفاهيم تصويرية بالإضافة إلى كونها مفاهيم عامة، حيث نعني بالمفاهيم التصويرية القيم التي تشكل أو تصاغ في شكل ألفاظ مطلقة، إلى انه يتم تطبيقها في حدود مواقف خاصة أما القيم العامة فتعني بها أنها تتضمن جملة من التعليمات التي يمكن من خلالها فهم فعل معين بان له معنى، كما أن القيم تعتبر مفاهيم مرغوبة و مطلوبة اجتماعياً، أحياناً تتمثل في شعور الفرد و أحياناً أخرى تصل إلى مستوى إدراكه لأنه يقوم أحياناً بتوجيه سلوكيات و قراراته في مختلف المواقف⁽¹⁸⁾.

لم تخلق القيم لوحدها بل كانت وليدة مجموعة من المتغيرات و تحت ظروف معينة، جعلتها بعد ذلك مصادراً لها و أهمها:

- الصلة الوثيقة بين العلم و تطبيقاته لان هذا العصر يدعم الترابط بين العلم النظري و العلم التطبيقي كما يعمل على توثيق العلم بالمجتمع.
- غلبة المنهج العلمي حيث أصبح للمنهج العلمي و الشأن في عالمنا الحالي - الحديث- و الوصول إلى أدوات البحث المتطور لحاسب العلمي الذي فتح المجال أمام العلوم لاستخدام هذه الأدوات لمواجهة مشكلاتها و ظواهرها التي كان من الصعب أن تجمع المعلومات و البيانات عنها بالوسائل التقليدية نظرا لكثرتها و تعقدها.

ثورة الإنتاج و الإدارة و هذه الثورات في الإدارة و الإنتاج تقوم على أسس جديدة من القيم الإنسانية و تكون قادرة على مواجهة مشكلات التخلف الثقافي و مشكلات قدم التنظيم و غيره⁽¹⁹⁾.

- التغيرات الكثيرة في القيم و عدم ثباتها و الاتجاهات التقليدية لان عالمنا متغير و هذه المتغيرات غالبا ما تواكبها تغيرات القيم و الاتجاهات و أنماط السلوك مما يترتب عليه الظهور كثير من المشكلات النفسية و الاجتماعية التي تنعكس أثارها على سلوك الأفراد و تحركاتهم و أفعالهم، و ظروف العصر، و التي اتسمت بالسرعة و التغير و الضغوط النفسية و المشكلات الحياتية و ثورات الاتصال و التدفق السريع للمعلومات.

يولد الفرد و هو خاليا من الإيديولوجية التي تحدد تعامله مع الموقف و الأشياء، و الأشخاص و الأهداف التي تنتظم عليها محاور حياته، ثم يتولى القائمين على التنشئة في الأسرة و المجتمع بكافة مؤسساته مسؤولية تعلمه، و توجيهه في ضوء ما تمثله ثقافة ذلك المجتمع من قيم، حيث أكدت الدراسات أن عملية النشأة تستمر بالنسبة للفرد على امتداد فترات حياته، و ما يمر به الفرد في فترات حياته من خبرات و معارف، كما يلعب المنشئون دورا واضحا، و ذلك لتقدمه من قدرة على إشباع حاجاتهم- حاجات الأفراد- و كذا تمكينهم من تكوين معان و دلالات للأشياء في محيط البيئة، و تعد الحياة الأكاديمية من إحدى المصادر الأساسية للتنشئة القيمية، فقد أوضح أن القيم لا تصبح محكا مرجعا هاما لقرارات الأفراد

إلا في عمر الخامسة عشر و السادسة عشر و بالتالي فهي أكثر طوعية للتشكيل و التغيير من خلال معايشة الخبرات الدراسية و التي عادة ما يكون لها دورها في هذه الفترة العمرية⁽²⁰⁾.

كما أن هناك اختلاف يبين الباحثين حول كيفية اكتساب الأفراد للقيم المتواجدة في مجتمعهم، فيما كانت عملية معقدة غامضة، و عملية تبني لقيم لم يكن يتبناها قبل ذلك في متصل احد طرفيه يوجد تبني القيم و في طرفه الآخر هنا الهجر و التخلف- هجر القيم و التخلي عنها- و يرى أن المشكلة تكمن في كيفية نقل الإطار المرجعي والأهداف و الاتجاهات المختلفة إلى الأفراد، أما أن الإنسان لديه حاجة أساسية إلى الاستكشاف، تلك الحاجة التي تملي على المجتمعات وجود معايير معرفية و تذوقية و أخلاقية للقيم يتم من خلالها تمكين الفرد من التمييز بين ما هو حقيقي و ما هو زائف، و بين ما هو جميل و ما هو قبيح و بين الحسن و السيئ من منظور ثقافة معينة و قد نلاحظ أن هناك اختلاف بينهم و جهات النظر الباحثين هذا يعني أن كل واحد منهم قد تبني أفكارا معينة نابعة من ثقافتهم و أفكارهم و ما تعلموه من مجتمعاتهم⁽²¹⁾.

ثالثا : أسباب حدوث التغيير القيمي : قبل الخوض في معرفة التغيير القيمي وأهم مظاهره في حياة الفرد والمجتمع، لابد أولا من معرفة مكوناته الأساسية والتي يمكن عرضها كما يلي:

1- المكون المعرفي: ومعياره الاختيار أي اتخاذ القيمة من عدة أبدال مختلفة، بجرية كاملة، حيث ينظر الفرد إلى عواقب انتقاد كل بديل ويتحمل مسؤولية اختياره، حيث الاختيار أولى المستويات في سلم الدرجات المثوية إلى القيم وبذلك فهو يتكون من ثلاث درجات متتالية وهي استكشاف البدائل الممكنة، والنظر في عواقب كل بديل ثم الاختيار الحر

2- المكون الوجداني: ومعياره التقدير الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في الإعلان عنها أمام الملأ، ويندرج

أيضا في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم حيث يتكون من السعادة لاختيار القيمة وإعلان التمسك بالقيمة على الملأ⁽²²⁾.

3- المكون السلوكي: ومعياره الأساسي هو الممارسة والعمل حيث يشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتناسب مع القيمة التي تم اختيارها، شرط أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة كلما سمحت الفرصة بذلك، وعد بهذا المستوى الثالث في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم وتتكون من خطوتين متتاليتين وهي ترجمة القيمة إلى ممارسة أو بناء نمط قيمي⁽²³⁾.

وبالتالي فإن من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور تغيرات على نسق القيمة نذكر:

1- التطبيع الاجتماعي: ويعتبر عملية اهتزاز للتوازن القيمي وحركة لتحقيق توازن جديد، حيث نجد أن في النسق الاجتماعي ميكانزمات محددة تفرض ضغوطا أو توترات على الفرد فتجعله يتخلص من اتجاهه القيمي المتوازن، ثم تساعده بعد عملية التغير على القيام بتوازن للتماشي مع نمط التفاعل الجديد.

2- التغير السياسي: ويحدث عندما لا يتفق النسق الاجتماعي مع الأنماط القيمية لبعض الأفراد، ومستوى طموحاتهم نتيجة للانهايار قيم سياسية معينة.

3- استمرارية تطور النسق الاجتماعي بدرجة تفوق تقدم العنصر الثقافي⁽²⁴⁾.

4- التغير التكنولوجي: حيث تعتبر التكنولوجيا من المؤثرات الواضحة على القيم، لأنه بتغير التكنولوجيا تتغير الوسائل المتاحة أمام الفرد والمجتمع لتحقيق الأهداف المشتقة من القيم .

5- التغير الديني: حيث يعتبر الدين من أهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث تغير في القيم ومثال ذلك أن الدين الإسلامي استطاع أن يغير حياة العرب البدو تغيرا قيميا جذريا، بحيث أكسبهم منظومة قيمية وأخلاقية جديدة.

6- التغيير القيمي الذي يحدث بسبب تغير المعلومات والمعرفة حيث يتميز التغيير هنا بالطابع المعرفي⁽²⁵⁾.

7- التغيير بسبب الحروب: تتغير القيم في المجتمع بسبب الحروب التي تتعرض لها الشعوب حيث تتغير قيم الأفراد وتولد ثقافة جديدة بعد الاستعمار ويعتبر ذلك تحول جذري في قيم المجتمعات⁽²⁶⁾.

بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية التي تعد من بين أهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث التغيير القيمي بسبب حالة الأفراد في تحقيق احتياجاتهم وأيضاً أسباب أخرى لا يسعنا المجال لذكرها.

رابعا : طبيعة القيم السائدة في المدينة الحديثة ومظاهر التغيير فيها:

تراوح العلاقات المتأزمة في المدينة بين ما هو قديم وما هو جديد، وبين موقع الجماعات التقليدية والموقع الطبقي في التطور التدريجي للقيم في حياة المدن العربية في الماضي والحاضر، حيث تتميز المدن وخاصة الكبرى منها بقيم الطبقات التجارية تختلط القيم السياسية بقيم النجاح والطموح والرفاهية والريح⁽²⁷⁾.

والكسب والاقتناء المادي، لأن هذه القيم في القديم كانت مرتبطة ببعض المفاهيم الدينية، عكس ما هو موجود في الوقت الحاضر والتي ارتبطت بمفاهيم التحديث والانفتاح على الخارج والإقبال على الأزياء والتسلية والتمسك بقيم الانضباط وبذل أقصى الجهود في العمل والإنتاج والاعتماد على النفس أما فيما يخص القيم العائلية فإننا نجد أن المدينة الحديثة تتميز أسرها بالعصبية والتعاون بين أفرادها وكذلك التحالف والتنافس، وفي هذه العائلات يبقى الرجل هو المنتج والمشرف على تحديد علاقات الأسرة، أما النساء فإن واجباتهن تقتصر على الإشراف على شؤون المنزل أو العمل خارجه إن كانت تنتمي إلى الفئة العاملة، حيث تختلف طبيعة القيم حسب طبيعة المدينة التي توجد بها سواء كانت مرتبة فقيرة أو غنية، فالقيم التي تسود حضارة المدينة، هي قيم طبقية في أساسها، وذلك يرجع إلى تبلور البنية الهرمية للمكانة الاجتماعية، ولكن لا بد من الإشارة إلى

معاناة العامة من ازدحام المدينة الحديثة ومتطلباتها القاسية والمرهقة والسعي الدائم على حساب راحة النفس والعقل وأيضا على حساب القيم الأخلاقية المهددة في المرتبة بسبب ما فرضته العولمة وهي التغرب أو الأمركة، حيث أصبحت أمريكا هي المسيطر الوحيد على العالم بما فيه اقتصاديا، سياسيا وتعدت ذلك إلى الجانب القيمي والسلوكي، " لأن القيم التي تطرحها العولمة، هي قيم غربية، جوهرها طرح النموذج الأمريكي، على أنه النموذج المثالي، لأنها لا تعترف بالهوية الوطنية والقومية (28) .

فقد فرضت العولمة عدة مظاهر للتغير معتمدة في ذلك على وسيلة مهمة جدا في مجال السيطرة الذهنية والتبعية الثقافية تتمثل أساسا في التكنولوجيا التي أصبحت قائدا في عصرنا الحالي لجميع المنظومات القيمية والأخلاقية والسلوكية وفي هذا الصدد يقول الدكتور حليم بركات "إننا في عصر تكنولوجي، إلكتروني يحدث تغيرا ثوريا في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية وغيرها. و لكثرة ما يجري من تغير في المجتمعات المتقدمة، تزداد الهوة بينها وبين المجتمعات النامية... لا بد لنا في البلاد النامية من الاستجابة للتحديات وتوليد رغبة جامعة بضرورة دخول عالم الحضارة الحديثة فتعمل من أجل إحداث تغير سريع شامل عميق يتناول البنيات الاجتماعية المختلفة والقيم والمؤسسات التي تعيش فيها (29) .

وبالتالي فإن المدينة الحديثة والتي اكتسبت طابع الحداثة يكون لزاما عليها أن تتواءم مع مختلف مظاهر التغير التي يتعرض لها النسق القيمي، فيصبح بذلك فرضا عليها أن تتوافق مع كل متطلباته، وما يفرضه من مظاهر جديدة على النسق القيمي الذي يكون منه هذا المجتمع، سواء تميز بطابع المحافظة أو التقليد.

فالأسرة الحديثة مثلا قد قامت ببعض التوافقات لتتلاءم مع الظروف المادية المتغيرة، رغم أنها مازالت تمارس بعض وظائفها الأساسية (30). ويمكن تلخيص مظاهر التغير القيمي على الأسرة الحديثة في النقاط التالية:

* **تغير في القيم المرتبطة بتنظيم الأسرة:** إن تنظيم الأسرة هو بداية لحالة جديدة أفضل من الوقت الحالي، ما لم تهيأ فيه جميع الفرص والإمكانيات لمجيء جيل جديد يحد من الرعاية في الغذاء، للملبس، التعليم والرعاية الصحية (31).

* **قيم الزواج:** حيث تغيرت القيم الخاصة بالزواج والخاصة باختيار شريك الحياة، ففي القديم كان الأهل هم المسئولون عن اختيار الزوج بينما، أصبح اليوم، يتم التعارف بين اثنين احدهما يعرض طلب الارتباط على الآخر.

* **قيم الإنجاب:** إن الإنجاب هو أهم وظيفة للأسرة حيث تتأثر إلى حد كبير بالقيم والعادات والتقاليد والثقافة السائدة في المجتمع، فهناك من يشجع على الإنجاب وهناك من يفرض هذه الفكرة.

* **قيم خاصة بالجيورة:** تعتبر علاقات الجوار أحد المظاهر المهمة في عملية التغير القيمي في المجتمعات الجديدة باعتبارها من العلاقات الاجتماعية المهمة، فالمجتمع التقليدي كان يتميز بالعلاقات الأولية التي تقاس بكثافة و عمق و دوام العلاقة الاجتماعية بين الأفراد حيث يرتبطون فيما بينهم بعلاقات وثيقة أولية تتجسد في حجم الزيارات المنزلية المتبادلة و تبادل المعونات و الخدمات، ولا تزال هذه السلوكيات و الأخلاقيات قائمة في المجتمعات الحديثة و المعاصرة ولكن يبقى الاختلاف قائما حسب درجة تطور هذه المجتمعات لأن درجة التحضر تختلف من المجتمعات المتقدمة عنها في المجتمعات النامية حسب درجة الحدائة (32).

تعد روابط الجيرة من أهم الروابط التي تتجسد من خلالها مظاهر التغير في القيم الاجتماعية او ثبوتها في المدينة الحديثة، و التي أصبحت حقلا واسعا لإجراء المقارنات الخاصة بالمنظومة القيمية، لأن لعلاقات الجيرة دورا كبيرا في المحافظة على الحياة الاجتماعية لما يميزها من وظائف التآزر و التعاون و التكامل، فكانت بهذا من الأسباب التي تؤدي إلى ضمان وحدة المجتمع و تكامله، فالجيران بذلك يكونون مثل الأهل في علاقاتهم إذا فرح احدهم عمت الفرحة على الجميع و إذا حزن احد كان الحزن للجميع .

بهذه العلاقات الوطيدة بين الجيران في المجتمعات التقليدية كانت تعم الفرحة و التآخي و التواصل فيمثلون بذلك جسدا واحدا لا تفرقه قوة ،إما ما نلاحظه اليوم من مظاهر حول العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الجيران فإنهم أصبحوا بفعل التغير و العولمة و خروج المرأة للعمل و تحت ثورة المعلومات الحديثة ، يمكن أن نجد جيران لا يعرفون بعضهم، أو أنهم لا يلتقون إلا عند مدخل البناية أثناء الذهاب أو العودة من العمل .

فضلا عن ذلك علاقات القرابة المختلفة، و طرق التواصل بين العائلات فقد أصبح العلاقات الاجتماعية في المدينة الحديثة تتماشى مع مظاهر التغير المختلفة و التي فرضتها وسائل الاتصال المختلفة فبدلا من الزيارات في الأعياد و المناسبات جاء الهاتف ليعوضها بكاملة، ثم رسالة لتصل بعد ذلك إلى الشبكات الافتراضية و مواقع التواصل الاجتماعي* فأصبح الإنسان مجرد وسيط لسريان المعلومة، و يظهر هذا عندما يصبح الإنسان مثل سلك كهربائي يمرر المعلومة⁽³³⁾، و بالتالي فان هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع الحديث أدت به إلى أن يعيش في فجوة كبيرة بين ما تربي عليه و ما وجد نفسه مفروضا عليه أن يسايره .

الخاتمة:

من خلال ما سبق نُخلص إلى أن ظاهرة التغير القيمي من مظاهر ديناميكية الجماعة، فهو يدل على التحول الذي يطرأ على المجتمعات الحديثة نتيجة تعرضها إلى مؤثرات خارجية معينة، وهذا سببه الانفتاح و العولمة، و الذي خلف آثار عديدة، لم تقتصر على الأمور المادية فحسب بل تعدت ذلك إلى المساس بقيم أفراد المجتمع و سلوكياته حيث أصبح الفرد اليوم يعيش نوعا من الاضطراب، بين ما نشأ عليه، و ما أصبح لزاما عليه أن يتماشى معه، و عليه يمكن القول أن المدينة الحديثة قد أصبحت حقلا واسعا لإجراء التجارب الحية حول إثبات أو نفي فرضيات معينة تتعلق بتأثير التغير الاجتماعي على الأفراد سواء بالمحافظة على قيمهم الأصلية، أو الانسلاخ منها عند أول محطة يقفون بها، و هذا كله بحجة المواكبة و العصرية.

❖ هوامش البحث

- (1) أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان ، بيروت، 1986، ص438.
- (2) محمد أحمد بيومي: علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2004، ص ص 111، 112.
- (3) عبد الرزاق أمقران: دراسات في علم الاجتماع، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص ص 158، 159.
- (4) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان، 2007، ص 135.
- (5) حجيلة رحالي: ملامح التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، منشورات خبير التغير الاجتماعي و العلاقات العامة في الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر، دون سنة نشر، الإصدار الثالث، ص18.

- (6) رجاء زهير العسيلي: التغيير القيمي و المعرفي و تأثيره على تكوين شخصية الشباب الجامعي الفلسطيني، مجلة اتحاد الجامعات العربية، جامعة عمان، الأردن، 2006، العدد 46، ص 7.
- (7) نويصر بلقاسم: التنمية و التغيير في نسق القيم الاجتماعية، دراسة سوسولوجية ميدانية بأحد المجتمعات المحلية بمدينة سطيف، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2011، ص35.
- (8) دلال ملحس استيتيه، عمر موسى سرحان: المشكلات الاجتماعية، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 2012، ص 298.
- (9) المرجع السابق، ص 299.
- (10) المرجع السابق، ص 300.
- (11) عبد الكريم علي اليماني: فلسفة القيم التربوية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، 2009، ص ص 191، 190.
- (12) المرجع السابق، ص 192.
- (13) إيمان العربي الثقيب: القيم التربوية، دراسة في مسرح الطفل، د نّ، الإسكندرية، 2002، ص 30.
- (14) المرجع السابق، ص 31.
- (15) المرجع السابق، ص 32.
- (16) سعاد جبر سعيد: القيم العالمية و أثرها في السلوك، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، 2008، ص 36.
- (17) المرجع السابق، ص 37.
- (18) إيمان العربي الثقيب، مرجع سبق ذكره، ص 33.
- (19) عبد الرحيم عوض حسين أبو الهيجاء: القيم الجمالية و التربية، دار يافا العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 58.
- (20) المرجع السابق، ص 59.
- (21) المرجع السابق، ص 60.

- (22) عبد الكريم علي اليماني، مرجع سبق ذكره، ص 83.
- (23) المرجع السابق، ص 84.
- (24) رجاء زهير العسيلي، مرجع سبق ذكره، ص 7.
- (25) محمد عبد البديع السيد: أثر القنوات الفضائية على القيم الأسرية، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، 2009، ص 106.
- (26) رجاء زهير العسيلي، مرجع سبق ذكره، ص 8.
- (27) حلليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين - بحث في تغير الأحوال و العلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2000، ص 256.
- (28) حجيلة رحالي، مرجع سبق ذكره ، ص 23.
- (29) عبد الرزاق أمقران، مرجع سبق ذكره ، ص 161.
- (30) علي عبد الرزاق جلي و آخرون: علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية للنشر و التوزيع، الأزاريطة، مصر، 2005، ص 161.
- (31) نخبة من أساتذة علم الاجتماع: علم اجتماع المجتمعات الجديدة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2003، ص 262.
- (32) المرجع السابق، ص 393.
- (33) هشام ملكي: الإعلام الجديد و تحديات القيم ، وزارة الثقافة المغربية، الرباط، المغرب، 2014، ص 111.